

بأسماؤها الأرض تبصر

أحمد بلجام آية وارهام

بِصْرَعْنِي وَارْدُ الْبُوحِ
يُخْبِرُ عَنِ مَوْتِي الْبَحْرِ،
بَيْنَ اجْتِرَاحِ الذُّبُولِ
وَبَيْنَ اصْطِفَافِ الرَّمَادِ
أَرَى اللَّوْنَ مَخْمَصَةً
وَالْقَدْدَ سَطَايَا
أَسْمَى الْجُرُوحَ بِأَسْمَائِهَا
وَهُمْ اسْتَنْفَرُوا الْمَاءَ فِي الْقَمِ
سَمُوا الْخَرَائِبَ مَزْرَعَةً
كُلْنَا فِي الْوَقْعَةِ أُسْرَى لِحَمَى الْغِيَابِ
يُسَافِرُ فِي رَتِينِنَا غُبَارُ التَّلَاوِينِ،
هَلْ بُورَةُ الْإِحْتِنَاقِ
عَلَى بُورَةِ الْإِنْكَمَاشِ
عَلَى بُورَةِ الْإِنْسِحَاقِ
تُسَمَّى وَطَنَ؟! - ٢ -

أَضْفُرُ الْعَمْرُ ضَوْءًا لِدَابِلَةِ الْجَفْنِ
لَا قَشْرَةَ الصَّسْتِ تَحْجُبُ عَنْهَا أَحْدَامِي،
هِيَ الْمَاءُ فِي شَبِي الْحَلْمِ
هِيَ الصَّبَابَةُ فِي قَلْبِي الْبَحِّ
لَا شَيْءَ أَمْلَحُ مِنْ عِطْرِهَا فِي سَرِيرِ الشَّهْيِ
كُلُّ أَحْبَابِهَا صَحْوَةٌ،
إِنَّ فِي طَبْعِهَا جَوْهَرَ النَّارِ
فِي قَلْبِهَا الْيَمِينِ
وَفِي عَيْنِهَا رَصْدٌ
لِلْأَطَافِرِ إِعْصَارُهَا
وَلَهَا مَخْبَأٌ فِي التَّالِيِ بَيْنَ بَرَارِي النَّفُوسِ
تَلُوحُ كَمُهْرَةٍ دَفِءٍ
عَلَيْهَا مِنْ الْبُوحِ هَهْمَةٌ،
عَرَفَهَا هَمْسَةً فِي أَمْتِدَا الْيَقِينِ
وَمَسْرَجَةَ النُّورِ فِي كَفِّهَا أَيْدٍ يَتَغَيَّبُ مَحْطَتَهُ.
كُلُّ تَغْرِيدَةٍ تَحْتَ جِلْدِ الْهَوَاءِ تَبَارَكُهَا
وَتَرَى الْأَكِيمَالَ بِالْحَاطِطِهَا مِثْلَ قُنْبَلَةٍ لِلشَّيْءِ،
مُبَارَكَةٌ فِي الزَّمَانِ
وَمُعْشَبَةٌ فِي الْمَكَانِ
نُبُوتِهَا.
كَانَ شَيْخِي يَلْقَنِي وَرَدَّهَا
وَنَعَاقِرُ خَمْرَتِهَا جَهْرَةً (دُونَ حُوبِ)،
مَفَاتِيحُ مَا تَسْتَهِي الْأَرْضُ نُبْدِعُهَا

هُوَ الْعِشْقُ،
يَذْفَعُنِي لِلْوُضوءِ مِنَ الدَّمِ
تَكْشِفُ عَنْ سَاقِهَا الْأَنْهَرُ اللَّدِينِيَّةُ
أَغْفُو عَلَى بَسْمَةِ الْإِحْتِمَالِ
أُودِي إِلَى الْعِشْقِ رُكْعَةً تَسْمِيَةً.
رَاعِعًا فِي مَدَارِ الْأَنْتَةِ يَخْطُو الْبَرِيقُ الْمَتَمُوجُ،
أَيْتِهَا الْمَشْتَهَاةُ!
غَبَارُ الْوَقِيعةِ جِبٌّ
وَكَفُّ الْغُومِ تَسِيرُ قَوَائِنِهَا بِإِنْتِصَاصِ
الْتِنَاعِ،
مَدَّ لِي الْفَتْحُ مَرْفِيَّ
(وَلَيْسَ إِلَى بَهْجَةِ السَّلْسِيلِ هِيَامُ)
تَنُوحُ الْأَصَابِعُ بَيْنَ الْمَقَاهِي
وَبَيْنَ تَطْطِي الْمَدَى.
كَانَ لِلْوَقْتِ نَائِي
وَكَانَتْ تَبَارِيحُ مَا يُشْتَهَى خَصَلَةٌ فِي الْجَبِينِ
(يُلَاعِبُهَا الْعَمْرُ أَنِّي يَشَاءُ)
وَكَانَتْ ضِفَافُ التَّحْوِيلِ قَوْسًا مَضَاءً
(نُمَارِسُ فِيهِ طُفُوسَ التَّعْرِيِّ... يَدَاهِمَنَا الرَّجْعُ)
أَحْزَانَهَا تَلْبَسُ الْحَرَكَاتِ.
أَلَا إِنَّ تَقْفِيصَةَ الْفَجْعِ نَا ضِجَّةٌ كَالْتَرَاتِيلِ
مُعَمَّدَةٌ فِي الشِّفَاهِ النَّجُومِ
وَلَا وَرَدَ يَمْلَأُ نَافِذَةَ الْبَرِّقِ
هِيَ السَّيَاحَةُ فِي مَوْسِمِ الْكَلِمَاتِ
(إِذَا امْتَزَجَتْ بِالْفُضُولِ الطُّنُونِ)
أَقُولُ: تَعَمَّدَنِي الْوَجِدُ بِالْإِنْفِجَارِ
يَقُولُ الْبِنْفَسِجُ: لَا تَكْشِفُ الْخَمْرُ عَنْ سِرِّهَا لِلْيَآءِ
أُرَاوِعُ نَامُوسَ ذَبْحِ خَصِيبِ،
مَدَارِي مُشْتَعِلٌ بِالْقَرَابِينِ
كُلُّ التَّجَاوِفِ مُحْشُوَةٌ بِرَمَادِ الْمُصَابِ،
مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ يَرْقُلُ الظِّلُّ
تَمَضُّعُ شَهْوَتِهَا فِي الصَّيْفِ الْعُيُونِ
تَدَسُّ الْعِمَارَاتُ أَنْفَاسَهَا فِي الْبِدَاوَةِ،
لَا يَمْلِكُ الْقَلْبُ غَيْرَ دَوَائِرِ تَسْلِمِهِ لِلْخَمَارِ الطَّلِيلِ
تُعَسِّلُهُ بِنَشِيئِ الْفَجَاءِ
مِنْ كَوْتَرِ الْإِنْسِلَالِ تَعْبُ الْمَصَابِيحُ زُرْقَتَهَا
وَابِلٌ مِنْ شِعَاعِ الْكَلُومِ
وَقَوَارَةُ مِنْ غَرِينِ الطَّبَاعِ.
لَكَ السَّطْوَةُ أَنْدَاحَ فِيهَا الْفَوَادِ
لَكَ الْعَيْنُ مَادِبَةً لِلْهُوَامِشِ،

مَنْ جَرَّاحِ الْفَذَادَةِ نَهْرُ
وَمَنْ جَذْوَةُ الدَّنِ ظِلُّ
وَمَنْ خَيْمَةُ الْكَشْفِ مَائِدَةٌ،
أَنْتَ خَطَّارُ هَذِي الشَّطَايَا
لَكَ السَّجْدَةُ الْبِكْرُ
وَالدَّمْعُ قَيْتَارَةٌ تَحْتَ سَفْفِ الرَّمَادِ
أَقْمِنِي شَهَابًا عَلَى وَتَرِ الرِّيمِ
فِي الرِّقَابِ الْحُرُوفِ مَفْرَعَةً
هَلْ أُرْزَلُ جَذْرَ التَّخْمُرِ؟!
لَا نَارَ... إِلَّا الَّذِي فِي الْعُرُوقِ يُجَاوِرُنِي
جُثَّتْ مِنْ حَرِيقِ الْأَمَاسِي تَحَاصِرُنِي
تَسْتَعِيثُ الشُّوَارِعُ مِنْ مَطَرِ الْإِنْجِذَابِ
عُيُونٌ مُجَنِّحَةٌ تَفْرُزُ الصَّمْتَ،
أَشِيبَ كَانَ الْأَصَاصُ
وَكَانَتْ رَوَائِحُ أَفْقِي زَوَارِقِ
(مَلَانَةٌ بِالْوَرَامَةِ).
نَمَضِي إِلَى مَخِيَا، فِيهِ تَشْتَعِلُ الظُّلْمَةُ/ الْمَاءُ
وَالجَامُ رِيحَانَةٌ
وَالْبَرِيقُ طَرِيقُ
إِلَى نَقْطَةِ مِنْ جَحْمِ الْجَمَالِ.
صَدَى يَنْبَسُ نَبْضُ التَّرَابِ
دَمٌ يَخْتَرُ فَوْقَ غُصُونِ الْحَدِيدِ،
تَعْرِ إِذَا أَنْتَصَبْتَ
تُمْ تَنْزَوُ عَلَى ظِلِّهَا كَأَثَانُ الطَّلَا
هِيَ مِرْآتُكَ أَشْتَعِلُ الْمَوْتَ فِي مَوْجِهَا
أَسْتَوْلِدُ الْعِشْقَ مِنْهَا الْأَسَى.
لَيْسَ يَسْتَنْكِفُ الطَّلُحُ عَوْرَتَهُ فَوْقَ نَمْرُقَةِ الصَّهْدِ،
لِلْأَسْرِ تَأْتِي الْوَأَسِمُ مَعَلَّةً
كُلُّ هَذَا الضَّجِيجِ سَجِينٌ بِقَطْرَةِ مَاءِ.
ذَوَتْ فِي الْقَدَاحِ الْبِشَاشَةُ
تَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ هَذِهِ الْأَرْضِ
أَرْضِغَتِهَا مِنْ ضُرُوعِ الْجُنُونِ اللَّذِيذِ
فَكَانَتْ شُمُوسٌ لِيَالِ
وَكَانَتْ قَضِيبٌ أَنْفَلَاقِ
هِيَ الْآنَ فِي مِذْوَدِ،
كَيْفَ تُلْقِي الْمَشْتَةَ شَهْرَتَهَا فِي شُرُوحِ التَّحْوِيلِ؟!
كَيْفَ يَكُونُ النَّبِيدُ صِرَاطًا إِلَى بَرْزَخِ الصَّحُوحِ؟!
كَيْفَ تَكُونُ الصَّلَاةُ
فَنَاءً وَرَقْصًا عَلَى حَاقَةِ الْمَلَكُوتِ?!

عَاجِزٌ عَنِ طُفُوسِ الطَّهَارَةِ هَذَا الَّذِي أَمَّ
بِالأَرْضِ
لَا شَيْءَ أَرْوَعُ مِنْ مَطَرٍ فِي أَحْتِدَامِ الخَرَا
المَدَجِّجِ ،
كُلُّ المَرِيدِينَ شُعْلَةٌ فيضُ
تَقَاصَرَتِ الكَأْسُ
شَيْخِي أَعَادَ لَهَا عِزَّةَ الشَّرْبِ
لَقَحَهَا بِجُدُورِ الشَّمْسِ
هُوَ الفَيْضُ .. نَدَخَلُ خَيْمَتَهُ
كَالَّذِي فِي العُرُوقِ مُطْلَمٌ نُورُهُ
يَا أَنْتَ ،

يَا قَدْرًا فِي الرَّغِيفِ
وَيَا عِشْبَةً فِي الجُنُونِ
لَأَنَّكَ تَقْعِي طُوفُوفَ فِي الجُرُوحِ
وَأَهْوَاؤُكَ أَلْهَمِيَّةٌ نَابِغَةٌ ،
كَيْفَ يَسْأَلُ عَنِ لَوْنِهِ البُرْتَقَالُ الرَّصَاصِيُّ؟
كَيْفَ تَدُوبُ القَوَاعِقُ فِي رَجَّةِ المَوْجِ؟!
إِتِّبَاعَهَا تَمَلِّكُ اللَّحَطَاتِ مَتَى هَاجِسُ الكَشْفِ
كَانَ السُّؤَالُ.

فَدَى اللَّتِي مَنْ تَوَهَّجَهَا سَكَرَ القَلْبُ
أَنْهَضَ عَقْلًا مُرْتَبَةً فِي أَقْلِيمِهِ سُبُلَ الإِجْتِرَاحِ
العَيْدِ ،
الْبِلَاسِ قِرَاعَةٌ فِي المَدَى؟!
لَسْتُ

أَخْطُبُ
أَرْكَبُ
أَحْلُبُ

مَرْوَحَةً لِلعَوَاطِفِ ،
تَأْتِي الشَّرْحُ مَعَانِدَةً
حَرَسُ الأَفْكَ يُطْعِمُهَا .
وَحَدَّهُ القَلْبُ يَنْزِفُ

بَيْنَ انْخِسَافِ المَبَاهِجِ
بَيْنَ رُكَامِ الحِمَاسِ
يَلْمِلُمُ أَصْدَاءَهُ فِي اتِّجَاهِ التَّنَاغُمِ .
أَتَيْتُهَا المَسْتَهَاءَةَ!

تَجُوسِينَ كَيْنُونَةَ النَّضِ
تَلْتَحِفِينَ بِمَرْقُومِ إِحْسَانِنَا .
إِنَّ هَذَا الشَّجَرَ
عَنْهُ تَسْقَطُ أَوْرَاقُهُ
كَالْفَجَاءَةِ لَا يَشْعُرُ
هَلْ خَرِبِنِي إِذَنْ قَدْ أَتَى؟!
بَيْنَ قَلْبِي وَمَا أُضْمِرُ
قَلْعَةً مِنْ حَدِيدٍ

تَحْتَسِي الصَّبُوتَ بِخُرُطُومِهَا
قَدْ نَصَبَتْ لَهَا عُنُقَانِ التَّلْطِي
وَسَنَّعَ التَّشْطِي

وَأَحْبَابِي التَّامِلِينَ بِحَرْفِ الأَلْفِ ،
أَنهَا وَحَلَّ المَوْتِ (يُخْنَقُ فِيهِ المَطَرُ)
أَنهَا ذَكَرَ لِخَصِي النَّظَرِ .
كَيْفَ أَبْحَثُ عَنكَ ، وَأَنْتَ مِنْ الجِسْمِ نَابِغَةٌ!
لَا أُصَلِّي إِلَى قَبْلَةٍ كَالْحَنَادِسِ
لَا أَقْرَأُ الوَحْيَ خَلْفَ الأَحَاسِيسِ
أَنْتَ الحَيْبَةُ
عِطْرُ ضَفَائِرِهَا

جَسَدٌ لِلصَّلَاةِ

وَرَحْبُ مَلَاخِيهَا

أَبَدٌ لِلقِرَاءَةِ

تَعْنَقُ تَصْدِيقِي فِي التَّرَابِ

وَفِي النُّهْرِ تُوْوِي مَكَاثِي

تَكُونُ المَنَافِي رَبِيعًا .. إِذَا ضَاجَعْتَهَا رُوَايِ

هِيَ الشَّدُو فِي رَقِصَةِ الوُجْدِ

يَجْنِبُنِي لِلصَّهْلِ تَقَوْلُذَهَا .

- ٣ -

لِلقِيَامَةِ وَشِي

وَلِلرَّيْحِ وَشَمِّ

وَلِلنَّخْلِ أَرْجُوحَةٍ فِي دِمَائِي .

أَلَا هَلْ سَبِيلٌ إِلَى أُمِّهِ حَزَّ أَنْسَاقَهَا الدَّيْدِبَانُ

وَمَدَّ إِلَيْهَا قَتَامَتَهُ الطَّيْلَسَانُ؟!
تُدْخِرُ فِي غَاسِقِ (تَقْفُ الرُّوحُ فِيهِ بِعُكَاظِهَا
المَاضُويِّ)

أَرَى فِي الصِّحَافِ شَرَاحَ أَهْلِي
أَرَى نَهْدَ فَاتِنَتِي

وَأَرَى الأَمْرَ يَغِيسُ أَضْرَاسَهُ .. يَنْجَسًا ،
هَلْ يَحْدُثُ العَوَاشِي

وَعَدْبِي النُّهْرِ ، مَوْجَاتُهُ غَيْرُ مُلْتَحِمَةٍ .

- ٤ -

يَنْخَطِّفُ ضَوْءَ الطُّفْلَةِ صِلٌ

تَحَطُّ الأَوَامِرُ مِخْلَبَهَا فَوْقَ سَفْلِ العِشَاشِ

بُرُوجُ الخَلَايَا يَبَاغِتُهَا الرَّجْمُ

لَا قَمْرًا فِي العُرُوقِ بَصِيحُ ،

مَرْوَعَةٌ كَالْمَهَارِيِّ الدَّرْبِ

مُنَافِقَةٌ كَالشَّرَابِ الطَّيْبِ

فَهَاكَ أَصْطِيطَارِي ، وَذُقْ شَفَةَ المَنْ

هَاكَ أَتَشَائِي ، وَذُقْ سُورَةَ الحَالِ ،

إِنْ كُنْتَ مُعْتَنِقًا بِالعُيُوبِ

أَعْرَبِي قِسِي الفَنَاءِ

وَخَذْ عِشْبَةَ الأَقْنََاءِ .

يَصُبُّ عَلَى الذَّاتِ أَثْقَالَهُ طَائِرٌ مِنْ حَدِيدٍ

تُعْرَسُ فِي اللُّحْمِ أَمْطَارُهُ .

أَنْتَ لَا تَشْتَهِي الأَدَمِيَّ شِوَاءَ

سُقُوفِ اللَّيَالِي تُمَرِّعُ فِيهِ نِصَاعَةَ أُسَانِهَا ،

أَسْتَنْشِقُ الطَّيْنَ رَائِحَةَ الحَنْفِ
عَارَتْ مِنْ الوُجْهِ أَنْوَارُهُ الفَارِحَةِ .

- ٥ -

صَوْتُ أَهْلِي مِجَنٌ

وَأَرْقَالَ أَهْلِي وَتَرْ

نَارُ أَهْلِي خِيُولٌ

وَمَعْدِنُ أَهْلِي رِمَاحُ

هُمُ حَفَرُوا لِرُوَايِ قَنَاءَ

وَرَصُوا المَشْيَةَ بِالجَوْهَرِ بِالجَوْهَرِ القُدْسِيِّ

يَمُرُونَ كَالأَنْبِيَاءِ

عَلَيْهِمْ حُقُوفُ الأَلِهَةِ تُسَلِّمُ

نَافُورَةَ الرُّوحِ تُكْتَبُ أَمْجَادُهُمْ فِي سَوَافِيهَا .

أَتَشَكَّلُ :

وَخِيَا بِحِجَمِ الشَّهَادَةِ

بِرَقَا بِكَفِّ النَّخِيلِ

الجِبَالُ تَلْفَحُنِي بِصَلَادَتِهَا

وَالْبِحَارُ تُسَلِّفُنِي جَبَّةَ المَدِّ

(لَا زَهْرٌ فِي بَذْرَةِ الطَّلِّ ،

أَتَى زَمَانُ اللُّهْبِ)

أَبَايَعُ شَخِي عَلَى الإِثْلَاقِ

وَنُدْمِنُ كَاسَ التَّجَلِّيِ .

سَلَامٌ! هِيَ النَّارُ تَلْقَمُنَا ثَدْيَهَا

أَلَرَّبُّ يَلْبَسُنَا بُرْدَةَ الوَصْلِ ،

هَاحَاتِي

عَصَرَتْ لِلدَّادَةِ كَرَمَ النُّبُوَّةِ

لَا وَقْتُ لِلوَادِ

كُلُّ الأَنَاثِ سَنَاءُ

وَكُلُّ المَوَاسِمِ زَهْرَةٌ نَارُ

- ٦ -

أَيْنَ تَلَكَ التِّي سُنْفِي أَحْتَرَقْتُ فِي تَوَهَّجِهَا؟

تَخْلُقُ الآنَ مِنْ نُطْفَةِ النُّورِ

أَحْبَابُهَا فِي مَرَايَا المَاءِ (يَعْنُونَ مِيلَادَهَا

العَرَبِيَّ) ،

فَيَمَامًا لَطْلَعَةَ هَدْيِي التِّي تَتَبَرَّجُ

فِي دِمْنَا مَلَكُوتًا شَيْئًا

بِأَسْمَائِهَا الأَرْضُ تُبْصِرُ ،

لَا تَخْجَلُوا

إِنْ تَعَرَّيْتُ فِي طَفْسِيهَا

إِنْ سَكَرْتُ مِنْ الصَّخْرِ فِي حِضْنِهَا ،

إِنَّهَا تُسْكِي المَجْنِبِي .

مراكش - المدينة - المغرب